

المؤتمر السنوي السادس فلسطين ... رؤى إستراتيجية سياسية



المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والاستراتيجية - مسارات
The Palestinian Center For Policy Research and Strategic Studies - MASARAT

فلسطينيو 48 ... الخصوصية في ظل الوحدة

نيفين أبورحمون

(هذه الورقة مسودة، ليست للنشر أو الاقتباس)

شركة المشروبات الوطنية



مؤسسة الناشر



الدكتور

محمد مسروجي

الدكتور

نبيل قدومي



شركة خان العمدان للاستثمار السياحي



بنك القدس
Quds Bank

الرعاة:

تعرف الخصوصية بأنها تميز مجموعة معينة نتيجة صيرورة مستمرة قد تكون هوياتية ومن خلال مركبات بنيوية. أفرزت النكبة تجزئة وأصبح هناك خصوصية لكل مجموعة فلسطينية في مكانها وفقاً لمحددات تاريخية وجدت نفسها بعد النكبة كنتاج دينامي.

في هذا السياق تموضع فلسطيني الداخل 48 داخل إطار دولة التي أفرزت بدورها اشكالية اخرى في واقع التعامل مع مؤسسات الدولة لذلك كان لا بدّ من التشابك مع الدولة ومؤسساتها من أجل توفير احتياجات الوجود الأساسية والبقاء على الأرض، حتى للعمل السياسي في سياق الدولة كانت خاصية مما شكّل الخصوصية وأنتج ثقافة خاصة تتدرج بين اليومي والوطني السياسي .

67-48 رغم وجود قطيعة رسمية الا ان التواصل في مناطق الحدود لم ينقطع وكان هذا من خلال التواصل التجاري السري، تواصل بين عائلات أيضاً سري. وربما هذا ساهم في إعادة تشكيل الوعي الفلسطيني من خلال هذه العلاقات التي طوّرت من خلالها بعد قومي وطني.

67 نقطة مفصليّة في تحديد مكانة الفلسطينيين وعلاقتهم مع المشروع الوطني الفلسطيني وتم التعامل مع الداخل كواقع من قبل منظمة التحرير. لعبت النكسة دوراً مهماً في ترسيخ الخصوصية ومأسسة مكانة وخصوصية المواطنة لفلسطيني الداخل.

ما بعد أوسلو

أصبحت هناك أزمة حقيقية في الحركة الوطنية الفلسطينية وأصبح هناك عدم وضوح لدى الفلسطينيين في طبيعة العلاقة بين الداخل وسائر الشعب الفلسطيني.

أوسلو وضّح المشروع الفلسطيني والاسرائيلي وقد تم اختزال المشروع الفلسطيني بنتائج اليوم وتعزيز يهودية الدولة وتوحش الاحتلال وطرح حل الدولتين وبالتالي اخراج عرب الداخل من دائرة الصراع ووضعهم تحت ما يسمّى في الشأن الاسرائيلي لذلك حاول عرب الداخل إيجاد حل لطريق مسدود والبحث عن مشروع وطني فلسطيني ومكانتهم فيه خصوصاً ان هذه المرحلة أفرزت "اختلافهم" وقد شكّلت المواطنة الاسرائيلية مرجعيته لتحديد مكانتهم مع ان كان هناك محطات

سياسية كبيرة ومصيرية تعامل معها الفلسطينيون في الداخل كجزء من فعل فلسطيني عام حول الأرض والهوية وخصوصاً بعد عام 2000 انتفاضة القدس والأقصى..

انتفاضة القدس والأقصى - الانتفاضة الثانية 2000

تحول العلاقة من التضامن الى الشراكة (حالة فلسطيني الداخل)

شكلت الانتفاضة الثانية نقطة تحوّل وأنتجت تغييرات وتقوية مشاعر الانتماء المشترك والهوية الجماعية والنضال المشترك وهذا انعكس في ظهور أدوات جديدة قد تجاوزت الحدود السياسية وأصبح هناك مساحة للتواصل وبناء مساحة للعمل الثقافي بالإضافة الى خلق حالة سياسية تفاعلية لتعميق هذا التواصل أيضاً من خلال نشاطات ومهرجانات.

الى جانب ذلك كان هناك ولخصوصية المشهد في الداخل تصعيد مؤسساتي ضمن مفاهيم جديدة أفرزت حينها مشاريع أسرلة التي جعلت من فلسطيني الداخل تعزيز النضال السياسي والاشتباك سياسياً مع مؤسسات الدولة بالإضافة الى مشاريع نضالية لكل الفلسطيني كحالة تراكمية لكل مشهد اعادة الوعي الفلسطيني.

نقطة قوة أخرى جاءت بعد الانتفاضة وهي تعزيز الهوية المدنية الى جانب الهوية الوطنية حيث أصبح هناك مفهوم للمواطنة ومطالبها من منطلق أصحاب للوطن، وأصبح هناك اشتباك سياسي مع مفهوم الدولة اليهودية ومواطنة الفلسطيني في البلاد.

كان للانتفاضة الثانية مفهوم شراكة حقيقية ومن ثم تجاوز الحدود السياسية والجغرافية التي فرضها الاحتلال وأصبح هناك هبة حول مفهوم السيادة والملكية على هذه الأرض وهذا ما حدث أيضاً مؤخراً في قضية القدس والأقصى والبوابات الالكترونية.

غياب المرجعية

كما أسلفنا بعد أن حلت النكبة وألقى الاحتلال على فلسطين يمر الشعب الفلسطيني في تعدد مرجعياته السياسية علاوة على التقسيم الذي فرض عليه.

هذه المعادلة المفروضة بقوة الجغرافيا، جغرافيا الاحتلال الذي يتمدد يوماً بعد يوم في ظلّ غياب مشروع وطني فلسطيني جامع وشامل، وهذا يعود لغياب المرجعية الموحدة للشعب. وما نتج عن ذلك في تباين الخصوصية لدى الشعب.

قد تكيّف الفلسطيني كل حسب موقعه وواقعه وأخذ في تحديد رؤيته ضمن هذا النطاق مع وجود اجماع شعبي على أهمية النضال من أجل دحر الاحتلال ومن خلال التمسك بالحقوق التاريخية والطبيعية للفلسطينيين وأهدافه الوطنية، وذلك وفق خصوصية المكان وأدوات نضاله فلكل تجمع فلسطيني كان برنامج كفاحي يومي.

وقد تكيّف الفلسطيني مع واقعه ليس وليد مرحلة بعينها بل هو نتاج تراكمات أفرزت لديه القدرة على تحديد وتأسيس أدواته النضالية وفق سياق التحولات الجارية. الفلسطيني ليس حبيس ذاكرة مفتوحة على هزيمة 48 و 67 بل إنسان يتفاعل مع واقعه.

لذلك نرى أن هناك أشكال ابداعية قام فيها الفلسطيني في العمل السياسي والمجتمعي والثقافي وهناك مبادرات كثيرة مثل حركة مقاطعة اسرائيل.. لجان حق العودة الخ..

الوحدة ضرورة وليس خياراً

تكمّن أهمية الوحدة بأنها ضرورة وطنية وليست خياراً من الخيارات في ظلّ وجود تهديد مشترك على الكل الفلسطيني تتمثل في وجود مشروع صهيوني استعماري ولكن كافة أدوات الاحتلال لا تستطيع ان تلغي وحدة الشعب الفلسطيني تجاه أرضه وتاريخه وأمتة لأن الصراع وجودي..

السؤال الذي يطرح اليوم هل يمكن أن نتجاوز التجزئة والاهتمام بخصوصية كل مجموعة والمبادرة الى بناء جسم جامع وما الذي نريده كفلسطينيين؟

مع اختلاف المجموعات وخصوصية كل منهم الا أن هناك مركبات ينطلق منها الفلسطيني أينما تواجد:

1. تعزيز الوجود الفلسطيني في فلسطين.

2. عدم اعتراف الاحتلال بالملكيّة التاريخية الفلسطينية كأصحاب وطن.

3. العودة و إقامة الدولة الفلسطينية

منطلق المجموعات المختلفة غير قابلة بشكل فعلي للفصل وهي متداخلة لأنه في طبيعة الحال هناك عامل الوجدان الفلسطيني وال نحن كفلسطينيين تحت رموز مشتركاً، الحالة الفلسطينية ليست ناصعة البياض، فهناك إشكاليات، تواجه هذا الكل الفلسطيني، منها، كما أسلفنا، الشتات الجغرافي، وتعدد المرجعيات، أو غياب المرجعية الوطنية الجامعة، ومع تسليمنا بخصوصية كل فلسطيني حسب مكان تواجده، فإن هنالك العام الذي لا يجوز، بأي حال من الأحوال، أن يتجاوز فيه جزءاً أو قطاعاً أو فئة من الشعب الفلسطيني على باقي القطاعات، أو الفئات، وإلا فإن ذلك سيكرس فوضى وانقسامات وصراعات لا طائل منها، ولا فائدة لها على الصعيد الوطني واتفاق أو سلو، وما نتج عنه من انقسام وصراع ليسا عنا ببعيد.

وفي ضوء ما سبق؛ فمن الضروري إشراك فلسطيني الداخل في القضايا المصيرية التي تخص الشعب الفلسطيني، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا عبر كسر الحواجز التي خلقها الاحتلال، مع معالجة النتائج الكارثية التي أوجدها الانقسام منذ العام 2006 وحتى اليوم، وما رافق تلك الفترة من دسّ إسرائيلي لتعميق الشرخ الفلسطيني.

ومن الضرورة، أيضاً، في أيّ معالجة أو معاينة، عدم الانطلاق من نتائج مرحلة أو سلو كسقف لمعالجة الأزمة، أو كإطار مؤسساتي لاستعادة الوحدة وفق البنية الحالية للسلطة.

السؤال المعلق

ويبقى السؤال المعلق هو عن كيفية الخروج من الواقع المأزوم؟ وهو ما يقود، كذلك، إلى التفكير في عوامل القوة، والحامل السياسي والاجتماعي القادر على فرض إعادة بناء الوحدة، دون التعويل على طرفي الانقسام، وهو ما يتطلب أن تتضمن المرحلة تحليلاً أكثر عمقاً للوضع القائم والتركيز على كيفية إنتاج البديل، مطالبة كل قوى الشعب بالانخراط في الإجابة عن سؤال كيفية الخروج من المأزق، والرجوع إلى المشروع الفلسطيني التحرري.

وفي ظلّ ما يمرُّ به اليوم مجمل شعبنا الفلسطيني، علينا أن نقف بشجاعةٍ أمام المرأة وننظر متساوئين؛ من صنع أوسلو؟ ومن صنع الانقسام؟ هل نعلقُ هذه الهزائم على مشجب الاحتلال؟ أعتقد أنه من الواجب علينا كسر "البرواز" الذي وضعنا أنفسنا فيه؛ فأوسلو، والانقسام، صناعة فلسطينية... هذه صناديقنا التي صنعناها بأيدينا، ولا سبيلَ لنا بالخروج منها، إلا بالاعترافِ بذلك، وتقبلِ التجربة، وعقد مراجعةٍ لتلك المرحلة، وهذا كله من أجل تجاوزِ أوسلو.. وما بعدَ بعدِ أوسلو.

إن سياق المواطنة لا يمنع أن نعرف أنفسنا كجزء من المشروع الوطني والحركة الوطنية الفلسطينية، وعلى فلسطينيي 48 الشروع في حوار حول دورهم وموقعهم في المشروع الوطني، فنحن خرجنا من مرحلة الوهم ومنخراطون في الوعي بأهمية النضال لتحقيق ما نريد.

العمل السياسي في الداخل بعد عام 2000 أخذ قيمة مضافة في البعد الوطني وأصبح هناك جدلية واضحة حول الوطني والسياسي ضمن قواعد لعبة أرادتْها لنا المؤسسة الاسرائيلية وأصبح هناك مفهوم مختلف في التعامل مع البرلمان في خطاب وطني فلسطيني شامخ وليس فقط كما شاءت به المؤسسة ان يكون دورنا البرلماني يقتصر فقط على اليومي والخدماتي بل كان هناك محاولة لرفع السقف الوطني حتى من داخل البرلمان في قضايا الأسرى او قضايا أخرى.

عن تجربة المشتركة وفي محاولة لتوحيد نضال فلسطينيي الداخل بعد مرور عامين نجزم انها تجربة فريدة في ظل ما يحدث من انقسامات في الوطن العربي بشكل عام والفلسطيني خاصة ولكن ما زالت تجربة سياسية تحتاج إلى نضوج سياسي في التعامل مع العمل الوحدوي والتجربة .

عن تجربة المتابعة نقول أننا نحتاج إلى مأسسة للمتابعة كي تصبح مرجعية سياسية حقيقة
لفلسطينيي الداخل وشؤونهم ومصيرهم كأصحاب وطن وكي تساهم في بناء مؤسسات فلسطينية قد
تكون بداية الحكم الذاتي الثقافي والخ..

خصوصية الداخل تحتم علينا مأسسة نضالنا ووضوح السقف والمرجعية السياسية والوطنية وفي
محاولة لتشبيك العمل الوطني والسياسي مع كافة المجموعات الفلسطينية بشكل منظم . قد يكون
هذا الأمر بمثابة رافعة للمشروع الوطني الفلسطيني ووحدة الفلسطينيين.